

هذا التحديد فيقول ان هدف الشعر هو اللذة غير المحدودة ،
وهدف النثر هو اللذة المحددة . وتلك قاعدة هشمها صلاح عبد السيد
ونفر من أقرانه .

لقد اهتم النقد عندنا بالمحتوى ، وجاء الشكل في المرتبة الثانية ،
أما الأسلوب فلم يعن به العناية اللائقة ، برغم أن الأسلوب – كما يقولون –
هو الرجل . ولا شكل ولا مضمون – في نظرنا – بغير الأسلوب . فهو
الذي يحدد مسارهما ، ويشكلهما وفق ما يريد ، ويضمنهما ما يريد .

ولعل من المفيد حقا أن ندرس تطور أسلوب نجيب محفوظ في
مراحله المختلفة ، وأن ندرس يوسف ادريس منذ « أرخص ليالي » حتى
« اللعبة والأورطي » والأساليب المميزة لمن أتوا بعده مثل بهاء طاهر
وعبد الحكيم قاسم ويحيى الطاهر وعبد الوهاب الأسواني وصلاح
عبد السيد . وأسلوب عبد السيد يعد علامة بارزة في أساليب القصص
عندنا . وإن لا تستطيع أن تخطئه من بين الأساليب الأخرى كافة .
وهو أهم ما يميز فنه في نظرنا . فهو الذي يجذبك الى متابعتها حتى النهاية
في لهفة وشوق ، ودون معاناة أو عنق وكانك تستمع الى مقطوعة عذبة من
الموسيقى التي تهدهدك على أنغامها ، وتثير أحاسيسك وهي تدخل في
عالم فني من الشكل النقي . نحن لا ننكر أنه يمتلك ناصية الحدوتة . .
لكن الحدوتة لا أهمية كبيرة لها عنده . الأهم منها هو ما يستخرج من
باطنها من خلال كلمات منتقاة لها من الترابط بينها وبين أصواتها ما يعيدها
عن المعاني المرصودة في قواميس اللغة . . المهم هو الدفقات الشعورية التي
تستولدها من الحدث . وهو حدث بسيط للغاية ، تناوله كثير من الكتاب ،
أو رددته السنة كثيرة ، أو استقاه من التراث ، ليصبه في ذاته ، ويشكله
من ذراته ، فيخلع عليه وشاحا خاصا ، ويكسبه مذاقا خاصا .

* * *

في سيرة عنتره يطلب عم عيلة مائة من نوق العصافير مهرا لها -
كانت غمايته تعجيز عنتره ، فهذه النوق لا توجد في غير الحيرة ، لكن الفارس
المغوار يركب الأهوال ويصارع الأخطار حتى يصل الى مملكة النوق .
وبعد بطولات خارقة يعجب انعمان بن المنذر بشجاعته ويهبه ما أراد .
على أعمدة هذه القصة الشعبية يبنى صلاح عبد السيد قصة : « الصندوق »
ليكشف لنا أبعاد التيه المصري . فما هو الأب « غليظ القلب ، الحاج
سبع حجرات ، التاجر بالسوق السوداء » يضبط خطابات حب تخفيها
ابنته « زينب » في صندوق جدتها « زينب » . ويحرص الكاتب على وصف
الصندوق من الخارج والاحاطة بما يحتويه ، ليختلط هذا الصندوق
بصندوق فارس زماننا العاشق في نهاية القصة . وهو صندوق من تنن